الياقوتة

نظم الشيخ الكامل سيدي الحاج
القطب الغوث عبد القادر بن محمد
من ذرية سيدنا أبي بكر الصديق
رضي الله عنهم وأرضاهم



الياقوتة قصيدة تشرح فيها حالة السلوك للشيخ الكامل الوارث المحمدي منذ ولادته ❊ واتصاله بمشايخ التربية والسلوك ❊ وترقيه في المقامات ❊ حتى وصوله إلى مراتب القرب والصديقية ❊ وهي من نظم العارف بالله العلامة الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ الكامل سيدي الحاج المجاهد عبد القادر بن محمد بن سليمان ابن أبي سماحة البكري الصديقي ❊ ولد رضي الله عنهم وأرضاهم عام 940 هجرية ❊ وشيخه في التربية العلامة المربي الكامل الولي الحاج الشريف سيدي محمد بن عبد الرحمن دفين السهلي ❊ وقد اشتهر قدس الله روحه العزيز بكثرة الذكر والعبادة والجهاد الأصغر مع الجهاد الأكبر ❊ وكان ذو أخلاق محمدية ومشهور بالكرم والجود ❊ وجاهد أهل الكفر والضلال المحتلين لبلاده وبلاد الإسلام والمسلمين ❊ وتوفي رضي الله عنهم وأرضاهم شهيدا شاهدا صابرا شاكرا سنة 1025 هجرية ❊

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ❋
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد
النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ❋ عدد نعم
الكريم وإفضاله ❋

أمس كان يوم عرفة ورأيت صورا
وفيديوهات لحضرة سيدنا وملاذنا الشيخ
الكامل الشريف الحسني سيدي ومولاي

أبو بكر الصديق عبد الناصر ❉ رأيته عن طريق الفيديو والصور ❉ فتذكرت وتأثرت وبكى قلبي ونزل الدمع من عيني لرؤية سيدنا وهو كالأسد الشامخ ❉

ومرت في خاطري ذكريات عندما أكرمني سيدنا بالحج معه ❉ فتأثرت جدا بمرور الأعوام والشهور والأيام ❉ كان شـابا جميلا وسـيما ونورا متنورا ومنورا لجميع من تعلق به رضي الله عنهم وأرضاهم ❉

مرت هذه الأعوام بسرعة البرق فرأيته بتلك الحالة النورانية الروحانية الرحمانية العرفانية العرشية الملكوتية الجبروتية ❊ وقد أدى ذلك إلى ثقل باللسان عند إظهار الكلمات والدعوات والصلوات والتسليمات على سيدنا رسول الله ﷺ لتجلي الأسماء الإلهية في ذاته الشريفة ❊ وكل الفقراء والمريدون متعطشون لرؤيته وسماع تربيته وعلومه ودعواته ❊ لتنشط بها جوارحهم ❊ وتحيا بها قلوبهم ❊ وتتزكى بها نفوسهم ❊ وتستغرق فيها أرواحهم بين الحضور والغيبة

❊ فلله الحمد والشكر ❊ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ❊

فأحببت أن أصف تلك المراحل لشيخنا وعزنا وسيدنا ❊ ولكني فقير جاهل ضعيف ❊ فوجدت ضالتي في قصيدة الياقوتة التي تمثل حالَ شيخ من الشيوخ الشاذلية وصل إلى مراتب الغوثية ❊ فقلت في نفسي : ها أنا وجدت ضالتي ❊ صحيح هذه القصيدة لذلك الشيخ الهمام ❊ ولكني

كذلك أراها لشيخنا الهمام البطل المغوار
❊ الذي لا يكل ولا يمل بالجد والاجتهاد
والمثابرة على الأذكار والأحزاب والعبادات
❊ والحج إلى بيت الله الحرام ❊ وزيارة سيد
الأنام ﷺ في مدينته طيبة الطيبة ❊ وزيارة
مريديه وأحبابهم بالتفقد عنهم وبالنظر إلى
أحوالهم ليرقيها من حال إلى حال ومن
مقام إلى مقام ❊ بل ويرشد ويرقي بعض
المريدين في الطرق الأخرى ❊ وهذه أحوال

أهل الكمال والوصال والقرب والولاية والصديقة ❇ والحمد لله رب العالمين ❇

الحاج محمود مرغلاني

الزاوية الشاذلية المشيشية بماليزيا

Lot 177, Jalan Balai Panjang,

Kg. Durian Daun,71300 Rembau,

Negeri Sembilan Darul Khusus,

Malaysia

ترجمها إلى الماليزي

الأستاذ رحمت بن محمد الشاذلي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

بدأت بحمد الله قصدا لِنُجحِ مَا

أروم من استفتاح نظمِ القصيدةِ

وأُهدي صلاةً ثم أزكى تحيةٍ

على المجتبى الهادي شفيع البريّةِ

صلاةً وتسليما كثيرا مجدّدا

إحاطةَ علمِ الله في كل لحظةِ

وبعد ففضل الله يوتيه من يشا

بمحض تفضّلٍ ومَنٍّ ورحمةِ

ومهما اجتبى عبدا سعيدا لقربه

تخيَّره وذاك ليس لِعِلَّةِ

ويمنع من يشاءُ جَلَّ بعدله

ويُحرمِ فيضَ الفضل من غير قلّة

ولما رأيت القوم جَدِّوا في سيرهم

إلى المقصد الأسنى بصدق العزيمة

جرت للتأسّي نفسي ثم تعلّقت

بأذيال أرباب النفوس الأبيَّة

وحامت على حماهُمُ ثم خيّمت

بقربهِمُ فَزَاحَمَتْهُم لشركة

ولـمّا تفاوضنا المشـــورة بـينـنا

برمنا عقودا بالعهود الوثيقة

تبايعنا بيع البتّ ليس كبيع من

يرى البخس ثم ينثني بالإقالة

فصرنا وصاروا حِلف صدقٍ وودُّنا

وِدادَ النُّهى ذوي الصدور السليمة

وبعد تعاطينا الموائد نبتغي

فنون العلوم يا لها من عطيةَ

فلما أديرت الأباريقُ بيننا

من الشوق نتلوها كؤوسُ المحبّة

ونحن نَشاوَى نلتقي شُربَ خمرها

بكلتا اليدين في الأواني المعَدّة

وحين انتهى بنا الشراب على الذي

قضاه لنا الرحمان وفق المشيئة

سكِرنا وهمنا بالشراب فبينما

أنا بين حالَي غيبةٍ وإفاقة

دعيت هلمّ فاستمعت نداءه

فلبّيته إذن بحسن الإجابة

وأدناني منه إذ فهمت مرادَه

وغاب مرادي كلُّه في الإرادة

وأشهدني عوالم الخلق كلَّها

وخيّرني فاختـرته دون مرية

فلما رأى رضائي ليس بدونه

كســاني رداء قربه والخلافة

فنيت فلم يغن الفنا عن بقائنا

وليس البقاء حاجبا عن فناية

ولا الفرقُ أيضا حاجبٌ لاجتماعنا

ولا الجمع لي عن ذاك جاء بعكسة

فغبت عن الأكوان طرّا بأسرها

وشـاهدت ربنا بعين البصيرة

ومنذ عرفت الحق غبت عن السِّوى

ولم تطبِ النفوس إلا برؤية

ومهما نظرت كائنا ما بُعَيدَ ما

عرفته لم أعره مني بلمحة

رَقِيت فما الذي يفوق مقامَنا

سوى السلفِ الأخيارِ أهلِ الولاية

كذا صحب خير الخلق فازوا برتبة

تقاعس عنها الغير من دون مرية

وعاينت ما لو عاين الغير جزأه

لذاب وطاش ما له من قريحة

وحمّلتُ نفسي ما لو معشارها على

عنانِ الجبال الراسيات لدكّتِ

ولولا فشوّ السر كُفرٌ بعينه

لبحت به ولكن أَولى التَصَمُّتِ

ولكنني أُغضِي حياء وأَقتفي

سبيل ذوي النهى في صون السريرة

سلكت طريقا لم يطأها خلافنا

ولم يسلكنُها غيرنا من خليقة

سوى سلف لنا قَفَونَا آثارَهم

وهم قدوتي من الشيوخ الأجلة

ولو شئت قولَ كن لكان الذي أنا

أقول ويجري الأمر وفقَ الإرادة

ولكنّ جلبابَ الحيا وتأدّبي

مع الله يحجبان تلك المقالة

وردت بحور الحب فازداد صحوها

وغبت فزاد الغيب صفوا لحضرة

فلما عرفت وصفي وامتاز وصفه

وأجلسني بباب صدق العبودة

بذلت له نفسي بجد وقال لي

رويدك خذ مقام عز ورفعة

ففاض عليّ جوده متوافرا

ومنّ وولّاني لواء الولاية

وما من مقام شئت فيه إقامةً

إلا وهواتف النداء بالحقيقة

تنادي هلم فاخلع النعل وادخلنْ

لك الحكم أو بك المكارم حَفَّتِ

حويت بكم وكم مراتبَ حزتها

ولا أنست بغيره دون همة

فكم آية رأيتها في إرئقائنا

ولم تغنني عن دونه كل آية

حفظت علوما لم تسعها سماؤها

ولم يبلغ اِنتهاءَها أهل الإشارة

فعمَّت وخصَّت في الأنام منارها

وفي حضرة كماله مستمرة

سرى سَرَيَانا سِرُّنَا في السرائر

وَلم يدركنَّ بالأفهام المُعَدَّةِ

فليس سوانا بعدنا بمعبّر

عن الحضرة العليا بأحلى عبارة

بعزته أقسمت ثم جلالِه

لَمَا طاب وقتُ القوم إلا ببيعة

فأي وصولٍ كان من غير بابنا

وأي دخولٍ منه دون إشــارة

ومن يستغث بنا اضطرارا لغوثنا

يغاث ولو بقعر بـحر وظلمة

ومستنشد بإِسمي لكشف ملمّة

سأدركه ولو ببعد المســافة

فيا أهل عصرنا أجيبوا دعاءَنا

فإنني أدعو للهـدى عن بصيرة

أحذّركم بما النبِي قد أتى به

وأخبركم بما أتى من بشــارة

ولست بمدعي الرسالة غيرَ ما

تحصّل لي من إرث علم وحكمة

فيا عجبا لعاطش بإزائه

بحورٌ وماؤها شرابُ المودة

فدونك فاشرب وَارتوِ من بحورنا

ففيها شفا من الأهواء المضلة

وأي طبيب للقلوب من العمى

أَطَبُّ من الذكر القويّ الإشارة

وأي مُعَدٍّ للذنوب ومحوها

أشدّ من اسم ذي الصفات الجليلة

وما الحج والجهاد من غير فرضنا

بأفضل من ذكر الأسماء العظيمة

بل الذكر أقوى ثم أولى لا سيما

إذا استشعر القلب النعوتَ الحميدة

بذا صدع المختار أعني نبيَّنا

وصح بنقلٍ في الآثار الصحيحة

وأي سلوكٍ كاملٍ دون صحبةٍ

وأي اهتداءٍ شاملٍ دون منحة

وأي طريقٍ راشدٍ غير رشدنا

وأي اهتمام الوقت من غير همة

فصدّق فإن الصدق أرفع رتبةٍ

لمن يبتغي الوصول فاحفظ مقالتي

لقد شهد المولى بأني نصيحكم

وإني على نصحٍ جدير بخبرة

فوا أسفا لتاركِ حبلَ عهدنا

عَمِيَ وَصَمَّ وارتدَّ بالقطيعة

ويا خيبة المشغولَ عنا بلهوهِ

وأضحى بعُيَدَنا سريعَ الندامة

ويا حسرة الذين دانوا ببعدنا

إلى أن تجرَّعوا كؤوس المنية

سيسقطوا في أيدي الخوالف بعدنا

لِمَا فرطوا في أخذهم للطريقة

وما أقبح التسويفَ عن قرب بابنا

وما أحسنَ التشميرَ قبل الإماتة

فأنّى لبطّال يظلُّ مثبّطا

حليف الكرى غِرّا بطيءَ الإفاقة

ينال مقامَ القوم أو يدرك المنى

ويفهم عنهم وَهْوَ صاحب سكرة

أم كيف رضاءُ الله يدركه الذي

يساخط ربَّه ويُرضي الخليقة

أم كيف لمغتاب الورى ذي نميمة

يموت شهيدا أو على خير ملة

أم كيف لمسرف الطعام وشربه

يذوق مذاقا أو يفوز بشمّة

كذا من عُرِفَ بالفسوق ونحوها

يجازى بفعله القبيحِ ولعنة

فلم يمتثل أمرا ولم يجتنب نهيا

ولم يذكر المولى خبيثُ السريرة

حريصٌ على دنياه لاهٍ مُكَثِّرٌ

منّاعٌ للخيرً معتد ذو عُتُلَّةِ

فكيف يكون للعلوم مناسبا

أخو الكسل والتفريط في خير خُلّة

إذا ما امتطى القوم الدجى للتهجد

وحازوا مقام قربه بالمزية

بمقعد صدق فازوا والرتب العلى

وأسمى فراديس الجنان الرفيعة

فأعلى مقامِ العارفين بربهم

رضوان الإلٰه ثم زائد نظرة

وذلك كله بفضل إلٰهِنا

يُنال بمنّ لا بكدّ وحيلة

وأما أسـير ذنبه يوم حشـره

فهالكٌ إن لـم يُـنجِيَنَّهُ برحـمة

دعوت إلى باب الكريم عبادَه

دعاءَ مأذونٍ لم يزل عن بصيرة

وقد جاء «وَلتَكُنْ» بـمحكم ذكره

إلى «المفلحونَ» أين أهل الإجابة

فكن مقتد بنا وثق بكلامنا

وَجِدّ في سيرنا تفز بالمودة

فإنني عبدُ القادرِ بنُ محمدٍ

سليلُ أبي الربيع نجلُ السماحة

ولا فخرَ غير أني عبدٌ لقادر

وأحمدُ تاجِ الرسل أقوى وسيلة

فبالإتباع نلنا مرتبةَ العُلى

فبالله ما حُدنا عن شرعٍ وسنةِ

ومنذ عَقَلنَا سدّد الله سعينَا

وما زلنا مقتفين نهجَ الشريعة

ولا تسمعنَّ قول عادٍ معاندٍ

حسودٍ لفضل الله بادي التعنّت

ومن ينسبنْ إلينا غيرَ مقولنا

تُصِبه بحول الله أكبرُ علّة

وموتٌ على خلاف دين محمدٍ

ويبتليه المولى بفقر وقلّة

وبطشٍ وشدّةِ انتقام وَذِلَّةٍ

ويردعه ردعا سريعَ الإجابة

بلعن الإلٰه باء من رام نسبَنا

عنادا إلى فعلٍ نكيرٍ وبدعة

كذاك الذي يرمي كريمَ جنابنا

وينسِب قدرَنا لأقبح سيرة

فكيف وباسم الحق نهجُ طريقِنا

يعود إلى ضلال أهل الدناءة

بدايتها للغافلين بتوبة

وأشراطها محصورة بالتثّبت

ونصحٌ لدين الله ثم رسوله

وخاصّته والمؤمنين بجملة

وتطييبُ لقمةٍ وتعظيمُ حرمةٍ

وشكرٌ لنعمةٍ ورفعٌ لهمّة

قواعدُها شوقٌ وعينُ يقينها

محبةُ جدُّ السير دأبا لحضرة

وَكَفُّ الأذى وحملُه وَتَصَبُّرٌ

ولا تُهمِلِ الرضى بأدهى المصيبة

وزهدٌ وتسليمٌ وعفوٌ وعفةٌ

وتفويضُ أمرٍ والشهودُ بِمنّة

وجِدٌّ قويٌّ واجتهادٌ موافقٌ

وصومٌ وسهرٌ ثم صمتٌ وعزلةِ

وحزنٌ ودمع ساكبٌ ثم لوعةٌ

وشغفُ قلوب الوالهين بزفرة

نهايتها شمٌّ وذوقٌ شرابها

به ريٌّ خمرٍ ثم سُكرٌ بغيبة

فَأمطارها فكرٌ وذكرٌ وعبرةٌ

ومحوُ ذواتهم للذات العظيمة

وَمِن بعدِ غيمٍ جاء صحوُ سماءِها

بإشراقِ شمسٍ بالمعارف حفّت

فجذبٌ له عزمٌ انتهى دون حاجبٍ

إلى حضرة القدوس زجّ بسرعة

وحالٌ لها حوى الأصولَ بأسرها

طريقةُ أسلافٍ بيضاءُ نقيةِ

فهذي فصولُها وشرطُ كمالِها

منوطٌ بعلمٍ ثم حلمٍ وحكمة

لها الجمعُ جمعُ الجمعِ جمعُ اتحادِها

أصولٌ لها شهودٌ في كل لمحة

فأولّها وليّ ثم نقيبها

نجيبٌ كذا الأبدالُ فاقوا برتبة

عمادهم الأخيار أوتادهم حُبُوا

بخاصيّة المولى هُمُ أهل الخصاصة

وغوثُ استغاثٍ ثم جرس علومها

وقطب له أعلى مقامِ الولاية

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا

إليه انتهت فنون هذي الطريقة

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه

تسلسلت الأشياخ أهل الولاية

كذا نسبة الأبرار معْ صفوة الملا

لها شرفٌ يُنمى لِعِزٍّ ورفعة

فمِن قدوةٍ علا إلى نخبة سما

ومن صفوة رقى لأسمى الخلُاصة

وتلكُمُ من بحر النبوة أنشئت

ومنه استمدّت الفحولُ الدراية

عليك بهم في كل شأن تشاؤه

توسّل بهم تنل سريع الإجابة

فخذهم بنظم واحدا بعد واحد

عليهم من الإله أزكى تحية

فأولهم في الذكر شمسُ وجودِنا
وقطب النهى علومنا اللدنية
إليه انتهت رئاسة القوم فارتقى
على صهوات المجد من غير مرية
أبو عابد الإلٰه يسمى محمدا
إلى عابد الرحمٰن يُعزى في نسبة
عليه سلام الله ما ذرّ شارقٌ
وما حنّ طير باللغات الحنينة
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجى
وَرِثنَا طريق القوم دون استرابة

فبالراشدي اقتدى عن الزرّوق اهتدى

عن الحضرميِّ ثمّ شيخ القرافة

عن ابن عطاء الله بحر علومنا

عن المرتضى المرسيِّ أحمدَ حُلَّةِ

معارفٌ منه للورى ومواهبٌ

فحاز بها مجدَ العلا والجلالة

إلى الشاذلي السامي أبي الحسن الذي

بحوز الكمال أضحى بحرَ الحقيقة

عن ابن مشيشٍ قطب دائرة العلى

عُبيدِ السلام ذي العلوم الرفيعة

عن المدني المرضيِّ غوثِ زمانه

أبي يزيد النحرير تاج الأحبة

عن الشيخ شيخه مريد شعيبهم

أبي أحمدَ السنيِّ بدر السعادة

عن السيد الذي أقر بفضله

أئمة من مضى من أهل الولاية

ومعُ ذاك أن الله أشهر ذكرَه

كشهرة هذي الشمسِ من كل بلدة

أخي لذ به وَأَصغَ سمعا لإِسمه

أبي مدينَ إمامِ هذي الطريقة

لقد أخذ الأسرارَ عن قطب غربنا

الإمام أبي يعزى نورِ البصيرة

عن السيد الأسنى الهُمامِ الذي سما

أبي الحسن ابنِ حرزِهِمْ ذي الإغاثة

عن الشيخ فخر الدينِ ناهيك فخرُه

أبي بكرهم يحي سراجِ الأئمة

عن الشيخ شيخ الكل سرِّ هداتهم

إِمامٍ كفيض البحر علما وحكمة

به يستغيث الكل شرقا ومغربا

أبي حامد الغزالي عينِ العناية

عن السـيد أبي الـمعالي لأنـه

إمامٌ إليه يُنتهى في الفـراسـة

عن الشيخ شمسِ الدين ذي النصح للورى

أبي طالب المَكّيِّ نورِ الولاية

عن السيّد المرضيّ في كل سيرةِ

الإمام الجُرَيرِي ذي النُّهَى والنهاية

عن الشيخ تاج العارفين رئيسهم

أبي القاسم الجنيد روحِ المجَادَةِ

عن الشيخ سَرِي السقطِي نَجلِ مُغَلّسٍ

عن المعروف الكرخيّ نجم الدلالة

إلى داوودَ الطائي الذي فاض علمه

عن العجمي حبيبهمْ ذي الإنابة

عنِ الحسن البصري الذي ضاء نوره

نجومَ الدجى ونورَ كل منيرة

إلى سيف ربنا المهند للعدا

وبابِ مدينة العلوم الجليلة

أبي الحسن عليٍّ صِهرِ نبينا

عليه رضاءُ الله في كل لمحة

إلى تاج من وافى القيامةَ جملة

ونوره عين الكون من غير مرية

محمدٍ الهادي إلى الناس رحمة

وَمَعدِنِ أسـرارٍ وعنصر نعمة

عليه صلاة الله ثم سـلامه

بِدَالِ دوام الملك في كل لحظة

فعن جبريلَ الأمينِ عن إسرافيل قد

تلقّاها من لوح محفوظ الأمانة

عن القلم المأمور بالخط للذي

قد كان وما يكون من كل ذَرَّة

وكـلٌّ بأمر ربنا وقضائه

فسلّم وصدّقنّ واحكم بصحة

وإياك والتعنيتَ والحسدَ الذي

ينافي الكمالَ عن صميم العقيدة

فإن مواهب الكريم تعاظمت

لدينا من غير حول منا وقوة

وإن قلتَ ما الذي أنالك فضلَه

ففضل الإلٰه لا يُنال بِحِيلَةِ

على أني للتقصير والعجز حيثما

حللت ملازما وفي كل حالة

ولست بذي نحوٍ ولا عروضٍ لِمَا

يرومه من قريضنا ذو الدراية

فعذرا لمن رام انتقادَ ظاهِرِنا

فلم نَعدُ عن أوصافنا البشرية

ومن رأى من عيوبنا فليداركها

بحلمٍ وليصلحنْها بعد التثبُّت

ولولا الكريم جاد منا بفضله

لما فاه منا ذي العلوم بقولة

ولكن سَتَرَ من مساوينا جملةً

وأظهر ما به النفوس اطْمَأَنَّتِ

له الحمد أوّلا وآخرا مثلما

له الشكر على ما أسدى من فضيلة

قد انتهى بنا القول نظما في كل ما

نحاول من تحصيل جمع القصيدة

وسميتها الياقوتَ رَفعًا لقدر ما

تسلسل فيها من شيوخٍ عديدة

مُعَرِّفَةً لشأنهم وطريقهم

وأسمائهم ذوي الأحوال الشريفة

عليهم رضاءُ ربِّ العرش بملءِ ما

أحاط به علما وأزكى تحية

وأهدي الصلاةَ والسلامَ مسرمدا

على كل رسل الله أهل النبوءة

وأضعافَها على النبيِ محمدٍ

إمام الرُّسُلِ المجتبى بالوسيلة

هو النبي المبعوث للخلق كلهم

وحامل اللواء كاملُ الشفاعة

وآلِه والأصحابِ ثم جميعِ من

قفا نهجَه القويم في كل وِجهة

صلاةً تملأ الكون عدد وزنه

كذاك ما فوق الفوق وأسفل ظلمة

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ❊
وسلام على المرسلين ❊ والحمد لله رب
العالـمين ❊

حررها سـيدي المقدّم في الطريقة الشـيخية
الشـاذلية ❊ الحاج مصطفى حاكمي
البوشـيخي ❊